الاجتهاد

ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر

تأليف
الدكتور سيد محمد موسى "توانا"
« الأفغانستاني »

ايشيجق

إشراف العالم الجليـــــل
فضيلة الشيخ مصطفى محمد عبد الخالق

رسالة "الدكتوراه"
في أصول الفقه الإسلامي من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر

يطلب من
دار الكتب الحديثة
لصاحبها توفيق عفيفي عامر
١٤ شارع الجمهورية بعابدين ت ٩١٦١٠٧

طبع بمطابع المدنى بمصر
٦٨ شـــارع العبـــاسية

تعريف بالرسالة

هذه الرسالة :

نال بها المؤلف شهادة العالمية « الدكتوراه » فى أصول الفقه الإسلامى بمرتبة الشرف الأولى .

وكانت لجنة الامتحان مكونة من الأساتذة :

١ — فضيلة الدكتور مصطفى محمد عبد الخالق ، الأستاذ السابق بكلية الشريعة والقانون بالأزهر الشريف مشرفاً ورئيساً .

٢ — فضيلة الدكتور بدران أبو العينين بدران ، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية .

٣ — فضيلة الدكتور عبد الله محمد عبد النبى ، الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

التعريف بالمؤلف

اسمه ولقبه :

اسمه سيد محمد موسى ولقبه « توانا » من أفغانستان ، بلد الإمام أبى حنيفة رحمه الله وابن سينا ، والسيد جمال الدين ، وسلاطين آل غزنه . ممن ساهموا فى بسط سلطان الدين الإسلامى ونشر ثقافته وإعلاء شأن المؤمنين به .

مولده :

فتح عينيه على العالم فى (راغ) بمحافظة بدخشتان ، واستقر به المقام بمنطقة (رُستَاق) التى كانت تسمى قبل حروب التتار بـ « ولوالَج » ، ومنها ظهير الدين الولوالجى صاحب فتاوى « الولوالجية » فى الفقه الحنفى .

كيف تلقى العلم :

تعلم مبادىء بعض العلوم على يد عمه وأخيه وبعض علماء بلده ، ثم التحق بالمدارس الحكومية حتى تخرج من كلية الشريعة بجامعة « كابل » التى تجمع بين غالب مواد كليات : الشريعة والقانون . واللغة ، وأصول الدين بالأزهر الشريف — عام ١٩٦٠ ، وعُيِّنَ فور تخرجه معيداً بالكلية ، وكان يدرس مادة اللغة العربية فى مدرسة أبى حنيفة رحمه الله ويدرس — عند الضرورة — مادة أصول الفقه والميراث والنحو فى الكلية ، إلى أن أوفدته جامعة « كابل » عام ١٩٦٤ إلى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ، لاستكمال دراساته بها . فنجح فى دبلوم أصول الفقه سنة ١٩٦٥ بدرجة جيد جداً ، وحصل على دبلوم تاريخ الفقه عام ١٩٦٦ بنفس الدرجة . وبذلك حصل على شهادة التخصص « الماجستير » ، ثم سجل رسالة الدكتوراه عام ١٩٦٧ فى موضوع :

« الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه فى هذا العصر »

وهذه — أيها القارىء الكريم — هى الرسالة بين يديك ، اختصرنا عنوانها وجعلناه : « الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه فى هذا العصر » .

وقد نوقشت هذه الرسالة فى الساعة السادسة من مساء يوم الخميس ، بتاريخ ١٩٧١/١٢/١٦ ومنح صاحبها شهادة العالمية (الدكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى ووافق مجلس الكلية ، وبعده مجلس الجامعة على النتيجة بتاريخ ١٩٧٢/١/٣١

والآن هو — المؤلف — يشتغل عضواً لهيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة « كابل » أفغانستان .

والله نرجو أن يجعل جهده هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع برسالته هذه طلاب العلم والباحثين ، وأن يوفقه لتقديم المزيد من العمل العلمى للأمة الإسلامية ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإنه مجيب قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

القاهرة { ١٩/ ٣ /١٩٧٢ م
{ ٢٩/١٢/١٣٥٠ هـ ش

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه ما لم يعلم ، واختار منه رسلا وأنبياء مبشرين ومنذرين ، يهدونه إلى ما فيه سعادته فى الدنيا والآخرة .

والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وأفضل أوليائه : سيدنا ومولانا محمد المبعوث إلي كافة الناس بدين يصلح لأن يكون قانوناً للإنسان فى جميع مراحل تطور الحياة على الأرض ، وإكسيراً يشفى المصابين بالأمراض النفسية ، ومشعلا فى طريق الخير ، والعدل ، والمحبة ، والسلام . وعلى آله وأصحابه الداعين إلى الحق ، الباذلين أموالهم وأرواحهم فى سبيل إعلاء كلمة الحق ، والجاعلين همومهم هما واحداً : هو الدعوة إلى الدين الإسلامى ، إلى الدين الحق ، فكفاهم الله هم دنياهم ، وهدى بهم من بعدهم من الناس إلى يوم الدين . وعلى سائر علماء أمته الذين رفعوا راية العلم ، وقادوا المجتمع الإسلامى قيادة علمية ، وطبقوا أحكام الدين ، ووسعوا دائرة ما تشمله نصوصه بفهم خصهم الله به ، سمى بـ [الاجتهاد] .

وبعـــد :

فإننا نعيش فى زمان توانت الأمة الإسلامية فيه عن أداء رسالتها ، بل قد فقد بعض أفرادها استقلاله الفكرى وثقته بتعاليم دينه وأحكام فقهه . وأصبح العمل به « بالفقه » مظهراً من مظاهر التخلف ، وأثراً من آثار الماضى البغيض — على حد بعض التعبيرات — .

واقتنع كثير ممن تثقفوا بالثقافة الأجنبية ؛ بأن الأمم التى تصنع أسلحة

الدمار والهلاك هى التى تستطيع أن تصنع القانون والأخلاق ، والمثل العليا الإنسانية ، ومن ثم يجب على المسلمين أن يستوردوا منهم القانون . . . كما يستوردون منهم السلاح .

وقد وجدت عدداً كبيراً من المثقفين يعتقدون عدم إمكان تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين — وهم الذين آمنوا بالديانة الإسلامية — مع أنهم لا يؤمنون بالمستحيل فى سبيل تنفيذ تعاليم غير إسلامية ، وتحقيق أغراض غير شرعية ـ والحال أن المسلمين لا يؤمنون بها .

ولو صرفنا النظر عن هؤلاء « من يتكلمون لا عن فهم بالفقه والاجتهاد ؛ وإنما يرددون ما قاله غيرهم من الغربيين ... » لوجدنا فى المسلمين أناسا مخلصين من علماء الدين والشباب المثقفين ، يعتقدون لزوم إيجاد حركة فقهية جديدة : بعث روح جديدة فى العلوم الإسلامية ، بحيث يطرق الإسلام أبواب العقول من جديد ، ويسهم فى إصلاح المجتمع البشرى وحل مشكلاته ، وإنقاذه من التردى فى هاوية المادية .

وذلك يتطلب من علماء المسلمين التشبث بأذيال الاجتهاد ، والانتفاع به ، حسب اقتضاء الظروف ، ومتطلبات الزمن ، ومقدرة كل واحد الاجتهادية ، وحظه منه « الاجتهاد » .

* * *

وقد ثار الكلام حول الاجتهاد ، وضرورة التوصل إليه ، وإمكان وجود المجتهدين ، بين العلماء فى عصرنا وقبل عصرنا . وبقيت آثار أقلامهم : إما مبعثرة « ضمن بحوث فقهية ، وأصولية ، وتاريخية » هنا وهناك ، وإما بشكل رسائل علمية تعالج جانباً من جوانب المشكلة .

وذلك بجانب ما حوته كتب الأصول من زمن بعيد .

هذا ما دعانى إلى الإسهام بنصيب متواضع فى خدمة الفقه الإسلامى والقيام بعملٍ ما لأجل المسلمين .

وقد جلب موضوع الاجتهاد ـ لكونه مفتاح باب الدخول فى حلبة الصراع الثقافى فى العالم ، وسبيلا إلى النهوض بالشريعة الإسلامية ، ووسيلة لإثبات صلاحية الفقه الإسلامى ؛ لأن يكون قانوناً للوطن الإسلامى الكبير — اهتمامى إليه وشجعنى انشغالى بالأصول — لفترة من الزمن تحصيلا وتدريسا — على الكتابة فيه .

• • •

ولقد تيقنت قبل البدء بهذه المهمة ، أن ما كتب فيه لا يشفى غليل الباحث ، ولا يغنى عن الرجوع إلى مئات الكتب والرسائل ، مما يأخذ ممن هم أهل البحث وقتاً طويلا ، ولا يقدر عليه كثير ممن يرغبون فى المعرفة .

ذلك كله بجانب أهمية الموضوع . حيث يحتاج إلى أن يخدمه أكثر من واحد ؛ فأردت أن أضع فيه رسالة تجمع شتاته ، وتحتوى على جميع جوانبه المختلفة ، وتملأ المكان اللائق بمثله فى المكتبة الإسلامية . وسميتها :

« الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه فى هذا العصر »

ولقد أوردت فيها بحوثاً جديدة ، واعتنيت بها اعتناء يدركه القارىء الكريم ، ويقتنع بأن ما قمت به بحث جامعى جديد ، لم يقم به أحد قبلى ، ويخرج بنتيجة واضحة عما يمكن أن يفعله الاجتهاد بالفقه الإسلامى ، وما يمكن أن يقدمه للمسلمين لتطور قوانينهم ، على أساسه — إن هم أرادوا ذلك — .

دراسة أصول الفقه :

ومع أن اشتغالى بدراسة أصول الفقه ، وانتسابى إلى كلية الشريعة، يفرضان علىّ أن يكون موضوع البحث الاجتهاد فى الفقه الإسلامى — وهو كذلك فى أصله وأساسه — لكننى أحببت أن أحيط بالموضوع من جوانبه الأخرى « الاعتقادية و ... » أيضاً — وإن لم أهتم بها اهتمامى بالأول ؛ للسبب الذى ذكرته آنفا — وذلك لكون هذه الأبحاث مشتركة فى مفهوم الاجتهاد ، ويجمعها كونها فى علوم الدين ، ومن علماء الدين ، ولقرابة هذه العلوم بحيث أنها انفصلت من أصل واحد ، ولتوضيح مفهوم الاجتهاد فى الفقه عن غيره ، مما يشترك معه فى الاسم ، ويذكر عند الكلام فيه .

* * *

من موضوعات البحث :

بل إننى ذهبت أبعد من ذلك ، فكتبت فيما يظن أنه مصدر من مصادر الأحكام الفقهية ، لإثبات أنه ليس بعد الاجتهاد طريق لمعرفة حكم الشرع ، إلا الاعتماد على من هم أهل العلم والاجتهاد .

ولقد تبين مما قدمته : الهدف من هذا البحث ، والباعث على القيام به .

منهج البحث وموضوعاته :

وأما منهجه ؛ فهو : أننى قسمته إلى : تمهيد ، وأحد عشر بحثاً ، وخاتمة .

فقدمت فى « التمهيد » نبذة يسيرة عن تاريخ الاجتهاد ، منذ وجوده إلى عهد بلوغه ذروة الكمال ، ثم أخذه فى النزول .

* * *

وبينت فى البحث الأول : تعريف الاجتهاد وما يتفرع عنه ، مثل : أركانه ، والفرق بينه وبين غيره من القياس والرأى ، وما يفهم منه من خواص الاجتهاد ، ككونه ليس إنشاء للأحكام و...

وبينت فى البحث الثانى : شروط الاجتهاد ، وآراء العلماء فيها ، مراعياً درجات هذه الشروط المتفاوتة فى الأهمية .

وبينت فى البحث الثالث : حكم الاجتهاد ؛ بمختلف معانى هذه الكلمة .

« الحكم » عند الأصوليين ، ويشتمل على : بيان حكم اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واجتهاد أصحابه رضى الله عنهم ، واجتهاد من بعدهم من المجتهدين.

ثم ذيلته ببيان حكمة تشريع الاجتهاد .

وقمت فى البحث الرابع : بتصوير ما يقوم به المجتهد لإدراك الحكم ومعرفته من الأدلة المتفق عليها ، والأدلة المختلف فيها ، مبينا ومعرّفاً كل ما تخفى حقيقته من الأدلة عن البعض باختصار ، وملحقاً به بحث أسباب الاختلاف كذلك .

وأتيت فى البحث الخامس: ببيان مراتب الاجتهاد ، من:الاجتهاد المطلق، والمقيد ، والعام ، والخاص . وبالتالى ببيان مراتب المجتهدين، من:المجتهد المطلق ، والمجتهد المقيد ، والمجتهد الخاص ، والمجتهد العام .

وذكرت فى البحث السادس : موضوع خلو بعض العصور من المجتهدين .

وشرحت فى البحث السابع : سبب وحكم ما ينسب إلى مجتهد واحد من أقوال مختلفة فى مسألة واحدة ، ممهداً له ببيان حكم تكرار الاجتهاد وإعادته .

وشرحت فى البحث الثامن : موضوع نقض الاجتهاد وعدم نقضه فى الحالات المختلفة .

وشمل البحث التاسع ـ وهو بحث « الاجتهاد غير الفقهى » ـ الاجتهاد فى المسائل الاعتقادية ، والإلهام ، والاجتهاد الصوفى .

واحتوى البحث العاشرة : آراء بعض المستشرقين فى الاجتهاد .

وبينت فى البحث الحادى عشر : الحاجة إلى الاجتهاد .

وقد اشتمل على بيان : موقف العلماء من الفقه الإسلامى المدوّن ،وموقفهم من المصادر الأصلية للفقه ، وبلوغ مرتبة الاجتهاد ، وضرورة التوسل إلى الاجتهاد المطلق .

وأدرجت فيه : بحث انقطاع الاجتهاد ، وكونه الآن أسهل مما كان ، والدعوة إلى العمل بالفقه الاسلامى ، ومسألة التلفيق .

محتويات الخاتمة :

أما الخاتمة فقد اشتملت على بيان مواضيع : التفويض ، والتقليد ، وخلاصة البحث .

المراجع التى رجع إليها :

وأما المراجع التى اعتمدت عليها فى إعداد هذه الرسالة ، واختيار المواد اللازمة لإخراجها إلى الوجود فهى :

كتب أصول الفقه « المطبوعة منها ، والمخطوطة ، القديمة منها والجديدة » والرسائل ، والمقالات فيها أى [الأصول] .

كتب التفسير ، والحديث .

كتب التاريخ ، وتاريخ التشريع .

كتب علم الكلام ، والتصوف .

هذه هى الكتب التى ساهمت فى تكوين مواد هذه الرسالة بالدرجة الأولى ، وذلك بجانب بعض الكتب التى ترى وجهات نظر المستشرقين .

وقد أضفت إلى هذه المراجع مراجع عامة أخرى ، لعبت دوراً ثانوياً فى إخراج الرسالة إلى الوجود ، مثل كتب الفقه ، والمناقب .

مزيد من الشرح :

وقد حرصت كل الحرص على إعطاء مزيد من الشرح والتفصيل لما هو من صلب الرسالة - حاشا ماليس فيه فائدة عملية من بعض الخلافات .

وراعيت جانب الاختصار مع الوضوح فيما لم يكن كذلك .

وعرضت ما اطلعت عليه من الآراء بأدلتها ، ثم نقدت الأدلة ، واخترت ماسلم دليله منها من الخلل أو الضعف .

وأيدت بعض الدعاوى ببعض الأدلة من عندى ، وقابلت بعضها ببعض التعديلات .

ولما ذكرت الأدلة ؛ تصرفت فيها بذكر المقدمات المحذوفة ، والنتائج المطوية ، والترتيب المنطقى ، وتغيير العبارات ، وحاصل ما ذكر فى أكثر من كتاب ، بعبارات وأساليب مختلفة .

وراعيت الأسلوب المنطقى عند سوق الأدلة كثيراً ، ولم أراعه فى بعض الأحيان .

ولم أقصد نصرة مذهب من المذاهب بدافع التعصب ، بل قصدت نصرة الحق ، فإن الحق أحق أن يتبع .

ولقد كان لتوجيهات الأستاذ الفاضل ، والعالم الكبير الورع الصالح أستاذى ومولاى فضيلة الشيخ « مصطفى محمد عبد الخالق » المشرف على الرسالة أثر كبير فى إتمام هذه المهمة ، جزاه الله عنى وعن طلاب العلم والصلاح خير جزاء .

وإننى أدعو بالتوفيق لكل من يساهم فى خدمة الأزهر الشريف ، بتقديم العون - عن طريقه - إلى المسلمين فى العالم وبالعمل ؛ لأن تكون كلمة الدين الإسلامى هى العليا .

« وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب » .

المؤلف

القاهرة { ٢٨ من شهر المحرم ١٣٩١ هـ
٤ / ١ / ١٣٥٠ هـ ش
٢٥ / ٣ / ١٩٧١ م

عرض تاريخي للاجتهاد في عصوره المختلفة

تمهيـــد :

١ — عصر صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم

٢ — عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم

٣ — عصر التابعين وأتباعهم رحمهم الله تعالى

٤ — عصر من بعد التابعين وتابع التابعين رحمهم الله تعالى

تمهيد

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان لمعرفته وعبادته[1] ، ويستخلفه فى الأرض ليتصرف فيها على نور من الله وهداية منه ، وقد علمه ما يعينه على معرفة خالقه وأداء رسالته ، وأودع فيه من القوى العقلية والطبيعية ما يمكنه من سلوك الطريق المستقيم واتباع المنهج القويم ؛ مما يتوصل به إلى الحياة الكريمة فى الدنيا ، والنعيم المقيم فى الآخرة .

وشاءت إرادته عز وجل أن يهديهم طريق الخير والشر[2] ، ليجنى كلٌ ثمار ما بذل من جهد ، وما قدم من أعمال « إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » .

وبما أن الإنسان — بما أوتى من العقل وقوة التمييز بين الحق والباطل — لا يستطيع أن يدرك الحقائق كلها حق الإدراك ، ولا يملك المقدرة الكافية على تذليل جميع الصعوبات التى فى طريقه ، ولا يصل إلى نظام يكفل له السعادة الكاملة فى دنياه وأخراه ، ولا يقدر على أداء مهمة الخلافة فى الأرض من غير مزيد من التأييد السماوى ؛ لم يتركه الله تعالى سُدىً ، تتجاذبه الأهواء ، ويختلط عليه الحق بالباطل ، وتقوده الشهوات إلى الفساد والفوضى ؛ بل بعث إليهم منهم رسلا وأنبياء مبشرين ومنذرين ومعلمين ، ليخرجهم بهم من الظلمات إلى النور ، ويساعدهم على معرفة ما وراء هذا العالم وهذه الحياة ، ويدلهم على الطريق المستقيم ، ويبين لهم مقومات النظام الصالح للحياة الكريمة على وجه الأرض ؛ فأدوا الواجب ، وتحملوا فى سبيله ماتحملوا ، وذاقوا ماذاقوا من السخرية والألم والعذاب « صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » .

---

(١) « وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » من سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) « وهديناه النجدين » من سورة البلد الآية : ١٠

ولما طال الزمن على الطوائف البشرية ، واكتسبت تجارب وخبرات ، وحصل بعضها على ما عند غيرها من المعارف والعلوم ، وبلغ الإنسان سن الرشد ونضج عقله وقويت مداركه فى ظل تعاليم الأنبياء ؛ استحق أن يتلقى الهداية الكاملة ، والتعاليم الصالحة لجميع الأمم فى كل زمان ومكان ؛ فبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس ، وأنزل معه المعجزة الكبرى ، والسراج المنير ، والدستور الذى « يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » .

فجاء عليه السلام بدين قويم ، يخالف ما كان عليه اليهود والنصارى والمشركون والفلاسفة .

واقتضت حكمته البالغة أن يبعثه من قوم أميين ، بعيدين عما كان يجرى داخل البلاد المتحضرة .

ومن أمة يعتبر بعض رؤساء القبائل فيها العدل ظلماً والظلم عدلا[1] نظامهم الفوضى ، ومنطقهم القوة ، وعلمهم الأساطير والخرافات ، ومرجعهم لفصل الخصومات فى معظم الحالات ؛ أمثال هؤلاء الرؤساء والكهنة والمشعوذين .

بعثه من منطقة فقيرة فى العالم ، أقل شىء عند سكانها : الماء والنبات ، وأرخص ما فيها ضوء الشمس الحارقة ، والصحارى المتحرقة .

لئلا يتصور : أن هذا الجو العلمى ، وهذا العالم المتحضر الذى بلغ فى العلم والرقى مبلغاً عظيما ، وعرف من النظم الاجتماعية والاقتصادية ما يمكنه من بناء دولة قوية ، وإيجاد نظام اقتصادى قوى .

---

(١) سئل شيخ قبيلة فى الجاهلية عن معنى العدل والظلم ، فقال :
العدل : أن أغير على غنم جارى فآخذها .
والظلم : أن يغير على جارى فيستردها .